



عادة المرء هكذا، لأنه ضعيف النظر بما يصلحه، قليل العلم بما هو أفضل له، عجول فيما يظنه كسباً له ونفعاً، جهول بالصواب ، مستعد للراحة والدعة.

إن للكون رباً عظيماً يدبر شأنه ، وهو سبحانه رقيب خبير بعباده ، يبتليهم فيختبرهم فيقربهم إليه، فيرفع درجتهم، وينقيهم، ويظهرهم، ويخرج منهم تعلقهم بالدنيا الفانية، إلى تعلق بالحياة الباقة والسعى للجنة العالية .  
وبينما الباطل يتنفس، وأهل الحق يتضاوون ألمًا، ينقر الشيطان في قلوبهم بوسوسته، فيلقي فيها التردد والشك، ألسنا نستحق النصر ؟ ! ... ألسنا الضعفاء المضارون ؟ !.. وربما استمعت قلوب بعضهم لوسوسته فتأثرت سلباً في طريقها وترددت لحظة عن سبيلها ..

لكن أهل الحق لو تدبروا الموقف لعلموا أنهم في سبيل حق صائب، وطريق منتهاء النور والفوز ، ما داموا يبذلون رغبة في رضا الله سبحانه والدار الآخرة ، متجردين عن قصد الدنيا ومتاعها ، تابعين سبيل نبيهم صلى الله عليه وسلم وداعين إلى دينهم على بصيرة وعلم بالحكمة والموعظة الحسنة .

فهم في طابور يقف في بدايته الأنبياء الكرام عليهم السلام ، فكم ابتلي الأنبياء ، وكم لاقوا المشاق الثقال ، بل إنهم ليبتلون أضعاف ما يبتلي غيرهم من المؤمنين ، يقول صلى الله عليه وسلم : "أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل" أخرجه الترمذى وابن ماجه .

أما ما يلقون من مشقة الطريق فإنه يحسب لهم في ميزان حسناتهم بكل صغيرة أذى أصابتهم ، فينفعهم ذلك أعظم نفع ، يقول صلى الله عليه وسلم : "ما من مسلم يصييه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيناته كما تحط الشجرة ورقها" أخرجه البخاري .

كذلك فإنهم يضربون المثال والنموذج للناس جمياً في معاني الثبات على المبادئ الإيمانية العظيمة ، تبعاً للصالحين الأولين ، الذين حملوا مشاعل الإيمان ، فيلحقون بالصالحين في سلوكهم وفعلهم ، وصبرهم ويقينهم ، فثباتهم على قيمهم ومبادئهم مكرمة عظيمة ، ومنقبة لا تدرك .

ولئن كان أصحاب الزخرف الدنيوي حازوا زخرفهم أياماً قليلاً، وفرحوا بما عندهم ساعات، فإن بناءهم زائل، وفرحهم مستحيل إلى هول ثقيل يوم لا ينفع مال ولا بنون ، بينما الصالحون ينتظرون الخير الابدي والنعيم الخالد ، والمجد الباقي ، قال سبحانه : " تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين " .

أما دعاؤكم ورجاؤكم إليها الصالحون ، فهو لا يذهب سدى ، ولا يضيع هباء ، فإن الله يسمعه ، ويستجيبه ، لكنه سبحانه يختار لعباده المؤمنين أفضل إجابة ، بأفضل حال ، فربما أخر لهم ذلك رفعاً لدرجاتهم ، وربما دفع عنهم بدعائهم شرًا أكبر قد يحصل لهم في دينهم ، وربما قربهم إليه بذلك الدعاء فنالوا بدعائهم أغلى وأعلى ما يتمناه عبد مؤمن من محبة الله سبحانه والقرب منه .